الأهرام

المصدر : الاهرام

التاريخ : ٩ ابريل ٢٠٠٠

المسار اللبنانى وأوراق الضغط الجديدة

على منير

عندما بدأت كل من سوريا وإسرائيل فى الجلوس على مائدة واحدة وفى مفاوضات مباشرة فى شيبرز تاون، كان المطلب السورى واضحا وهو أن تكون هذه المفاوضات تحت إشراف مباشر من الإدارة الأمريكية وألا يقتصر الدور الأمريكى على كونه مجرد راع بعيد عن ممارسة دور ايجابى، وقد جاء هذا المطلب باعتبار ما كان قد تلقاه الرئيس حافظ الأسد من تأكيدات أمريكية خلال المباحثات الهاتفية بينه وبين الرئيس الأمريكى وهو الأمر الذى دعا الأسد لأن يوافق على بدء مثل هذه المفاوضات.

وعندما توقفت المحادثات إثر ارتطامها بقضية الحدود والمياه أعلن الرئيس الأمريكى بيل كلينتون أنه غير متشائم إذ لم يبق من الاتفاق بين الطرفين سوى ١٠٪ ليكتمل الاتفاق.. وما لم يقله الرئيس الأمريكى هو أن هذه النسبة التى تمثل عشر الاتفاق هى أهم نقاطه وهى مسألة حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ والسيطرة على مياه بحيرة طبرية وهو الأمر الذى جعل باراك رئيس وزراء إسرائيل يبدأ مناوراته باعترافه بأن هناك ما يسمى بوديعة «رابين» التى كان ينكرها، لكنه وفى خلال اجتماعه مع مجلس وزرائه والذى نشرت الصحف الإسرائيلية تفاصيله فى حينها (٢٨ فبراير الماضى) قال باراك إنه يقبل بالعودة إلى حدود ٤ يونيو ولكن بشرط تمسك إسرائيل ببحيرة طبرية كلها بحيث لا يكون فى مقدور السوريين الوصول إليها. وهو ما اقتضى عدة اتصالات سرية بين السوريين والإدارة الأمريكية أسفرت عن الاعلان عن لقاء مباشر بين كلينتون والأسد فى جنيف بعد أقل من شهر من الوساطات غير المعلنة لإعادة فتح الطريق أمام المفاوضات المباشرة بين الطرفين، وهو الأمر الذى جعل المراقبين يميلون إلى اعتماد نبرة التفاؤل. قد كان هذا التفاؤل نابعاً من اعتبارين أساسيين.. الأول هو أن الرئيس حافظ الأسد لم يكن ليتحرك من دمشق للقاء كلينتون فى جنيف ما لم تكن الإدارة الأمريكية قد أكدت له امكانية نجاح مهمته.. أما الأمر الثانى فإنه لم يكن بمقدور الرئيس الأمريكى أن يلتقى بالأسد دون أن يكون بين يديه تأكيدات محددة من رئيس وزراء إسرائيل حول قضية الانسحاب إلى حدود يونيو ١٩٦٧ وقضية المياه ولأن الإدارة الأمريكية تعرف تماما أن زمام الأمر فى سوريا مازال فى يد الرئيس الأسد، وأن الرئيس الأسد هو أكثر الناس معرفة بما تريده بلاده، فقد كان المتوقع - منطقيا - أن يسفر لقاء كلينتون - الأسد عن انفراجه كبيرة تسمح باستئناف المفاوضات بين الطرفين وهو ما لم يحدث، إذ أن الرئيس الأمريكى لم يحمل فى جعبته ما يقدمه للرئيس الأسد من جديد، فكل ما قدمه هو قديم تل ابيب والذى يمكن تلخيصه فى عبارة واحدة.. كل الأرض للسوريين وكل المياه لإسرائيل وهو الأمر الذى رفضه الرئيس السورى بشدة خاصة أن كلينتون نقل إلى الأسد وجهة النظر الإسرائيلية التى تقول «ما نختلف عليه نلجأ فيه إلى التحكيم الدولى» وهو ما رد عليه الرئيس السورى بأن مجرد التفكير فى اللجوء إلى محكمة العدل هو تشكيك فى ملكية سوريا لأراضيها..

لقد خرج الأسد من هذا اللقاء - كما يقول السوريون - بإحساس أنه يناقش باراك وليس رئيس الدولة العظمى الراعية والوسيط. وإذا كان الرئيس الأمريكى قد غادر جنيف وهو يكرر عبارة «الكرة الآن فى الملعب السورى»، فإن حكومة باراك أول من تلقف هذه العبارة لتسويقها واستغلالها ضمن مناورة تستهدف تحميل سوريا المسئولية الكاملة فى فشل مفاوضات الطرفين وهو ما يتيح لإسرائيل ممارسة الضغوط سواء السياسية أو العسكرية لفصل المسار السورى عن المسار اللبنانى بحيث يمكنها رفع العنصر الضاغط الذى تستخدمه سوريا فى جنوب لبنان، ولعل اعلان إسرائيل انسحابها من الجنوب اللبنانى قبل نهاية يوليو المقبل وإبلاغ الأمين العام للأمم المتحدة بهذا الأمر هو بداية ممارسة هذه الضغوط.

ولكن السؤال.. هل سوف تستطيع هذه الضغوط التى تحاول إسرائيل ممارستها وبشكل مبرمج أن تقضى على التلازم بين المسارين السورى واللبنانى؟

حقيقة الأمر والذى تعرفه كل الأطراف أن القبول بمنطق فصل المسارين سوف يشعل النيران فى المنطقة، فعلى الرغم من أن إسرائيل قد عقدت اتفاقياتها مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية، فإنها بالقطع تضع فى حساباتها ردود الفعل العربية إذا تعرضت لبنان أو سوريا لأية عمليات عسكرية، ولعل اجتماع وزراء الخارجية العرب فى بيروت بعد قصف الطائرات الإسرائيلية للمدنية كان مجرد «إنذار مبدئى» قد تعقبه أشكال أخرى من ردود الأفعال العربية فى حالة تكرار ما حدث من اعتداء على الأراضى اللبنانية.. واللعبة فى مجملها ليست سهلة فى ظل المعطيات الآنية على الساحة.

ففى واشنطن كلينتون يسعى إلى لملمة بقايا أيامه فى البيت الأبيض فى محاولة لتحسين صورة سياسته وتعويض ما لوث ثوبه عبر عدة فضائح ليست آخرها مونيكا.. وحزب كلينتون يطلب ود اليهود فى الولايات المتحدة من أجل أن يقفز آل جور إلى مكتب الرئاسة فى البيت الأبيض. بينما باراك فى إسرائيل يحاول اللعب على كل الحبال.. يريد السلام بمفهوم خاص، بل ويريد ثمن انسحابه المنقوص أيضا.

وباراك فى تل أبيب يناور بالانسحاب من جنوب لبنان ويقدم لعبته بذهاء ومكر واضحين هروبا من المسار السورى من ناحية وضغطا من أجل تحقيق أهدافه التى ترضى الائتلاف الحاكم هناك من ناحية أخرى. أما حافظ الأسد فى دمشق فهو يمسك بزمام لعبته التى بدأها منذ ٢٣ عاما والتى تتلخص فى «عدم التفريط فى شبر من الأرض مهما يكن الثمن».

ففى دمشق يدركون أن من صبر على احتلال أرضه قرابة ربع القرن يستطيع أن يمارس مزيدا من الصبر حتى لا تضيع الأرض والكرامة والكلمة الأخيرة هى الكلمة التى لم يفهمها الأمريكيون وفى مقدمتهم أولبرايت التى سألت الشرع عن معناها!

أما اللبنانيون فهم يدركون تماما أن انفصال المسار اللبنانى عن المسار السورى سوف يكون بمثابة كارثة لهم، وقد ظهر ذلك جليا فى التصريحات اللبنانية التى تناثرت هنا وهناك والتى لم يكن آخرها ما قاله زعيتر وزير الدفاع اللبنانى حول مشاركة سوريا فى حماية حدود لبنان وهو التصريح الذى اعتبرته سوريا فى أبسط تعبير «تصريحا غير مسئول»!

هذه هى الصورة على الساحة من واشنطن إلى قلب منطقة الصراع. وهى صورة لا توحى فى مظهرها الخارجى بأى شكل من أشكال التفاؤل.. وإن كان باب العودة إلى مائدة المفاوضات بين الجانبين لم يوصد بعد.. ذلك أن كل ما حدث ويحدث هو مجرد أوراق ضغط من أجل العودة إلى التفاوض.. فالسلام بين كل الأطراف لن يبقى مجمدا إلى الأبد خاصة وهو يقترب من محطته الأخيرة.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية